مزاعم المستشرقين حول الآية القرانية "اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا" والردّ عليها

(Allegations of the Orientalists about Quranic verse "اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا" and its rebuttal)

محمد نور الإسلام

أستاذ قسم العربية

جامعة شيتاغونغ، بنغلاديش.

ملخّص البحث

أنزل الله القرآن الكريم بلسان عربيّ مبين. وقد ادعي بعضُ المستشرقين أنّ بعض الآيات القرآنية مكتوبة خلافا للقواعد النحويّة. لقد تحدّى الله– تعالى– الأدباءَ، والشعراءَ، والبلغآءَ بالقرآن العظيم على الإتيان بمثله، فلمّا عَجَزُوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن بعد السعي البليغ تحدّى إلى الإتيان بعشر سور، حتى تحدّى إلى الإتيان بسورة واحدة، فلمّا عَجَزُوا على الإتيان بمثله افتروا على القرآن، حتى زعمَ بعضُ المستشرقين بأنّ بعض آياته مكتوبة خلافا للقواعدِ النحويّة. أقول إنّما يدّعون ذلك لجهلهم بالقواعد النحويّة. وأتمنّى أنّ هذا البحث " مزاعم المستشرقين حول آية قرانية "اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا" والردّ عليها" ينفع العلماء، وأهل اللسان العربيّ، والمحبّين له من أنحاء العالم.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الاستشراق، المستشرقون، القواعد العربيّة، الشعر العربيّ.

Abstract:
The Holy Quran was revealed to the Prophet Mohammad (SM). Some orientalists claim that some verses of the Holy Quran were written in violation of the grammatical rules of the Arabic language. They claimed this because of their ignorance of the grammatical rules. Allah (SWT) challenges, “And if you are in any doubt about what we have sent down upon our servant then produce a surah like thereof

دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
المجلد الخامس عشر،
العددان الخامس عشر والسادس عشر
لعامي ٢٠١٩-٢٠٢٠م
(طبع في سبتمبر ٢٠٢٢م)
ص: ٢٣٣-٢٥٠
IIUC ©
ISSN 1813-7733

and call upon your witnesses other than Allah, if you should be truthful but if you do not and you will never be able to." (Baqarah:23-24) This paper adopts the methods of literary criticism, emphasizing descriptive, historical,analytical and comparative,dialectic methods to explore the base of suspicion of the oriental scholars. The paper argues that the claims of orientalists are absolutely false as they are not deeply concerned about the high definition of the Quranic language.
Key Words: Al-Quran, Orientalism,Orientalists, Arabic Grammar, Arabic styles.

المقدمة

إنّ القرآن الكريم نُزّل بلسان عربي مبين موافقا لألسنة العرب، ولكنّ بعض المستشرقين يتّهمون أنّ بعض الآيات القرآنية مكتوبة خلافا للقواعد النحويّة. لقد تحدّى الله –عزّ وجلّ– الكفّار والمشركين والشعراءَ، والبلغآءَ بالقرآن الكريم على الإتيان بمثله، فلمّا عَجَزُوا عن الإتيان بمثله افتروا على القرآن الكريم، و يزعمون أنّ بعض آياته مكتوبة مخالفة للقواعدِ النحويّة. وذلك لجهلهم بالقواعد النحويّة وأساليب ألسنةِ العرب المتنوّعة. اتمنّى أن هذا البحث سوف يكون بيانا كافيا لحفظ الله القرآن الكريم من التحريف والتبديل، ومنزلته العالية، وإبطال دعاوي المستشرقين حول القرآن الكريم بأنّ في بعض آياته أخطاء نحوية.

مشكلة البحث

إنّ القرآن الكريم نُزّل بلسان عربيّ مبين، فقد تحدّى بلغاء العرب وشعراءهم فعجزوا على أن يأتوا بآية من مثله، حتى أقرّوا في ذلك العصر بفصاحة القرآن وبلاغته. فكيف يدّعى المستشرقون الأعاجم الجهال في العصر الحديث بوجود أخطاء نحويّة في القرآن الكريم؟ ومن هنا يمكن أن نطرح هذا الإشكال: ما مدى دعاوي المستشرقين وحججهم وبراهينهم حول وجود أخطاء نحويّة مزعومة في القرآن الكريم؟ وتنبثق عن الإشكالية التساؤلات التالية: ما دوافع المستشرقين لدراسة القرآن الكريم؟ وما حجج وبراهين المستشرقين في إثبات دعواهم؟ وهل

يجب أن يخضع القرآن الكريم إلى القواعد النحويّة؟ إذا كان القرآن معجزا في مبناه ومعناه فما أبرز مظاهر إعجاز القرآن البياني؟ قد عانيتُ أنواعا من الصعوبات في إعداد هذه المقالة لقلة المصادر والمراجع في بلادنا بنغلاديش. وما تُوجَد أكثرُها مكتوبة باللغات الأجنبية.

أهداف البحث:

هذه الدراسة تدور حول الأهداف التالية:

١-عرض تعريف القرآن الكريم وبيان منزلته، والاستشراق والمستشرق لغة واصطلاحا.

٢-مظاهر دعاوي المستشرقين بوجود الأخطاء النحويّة في القرآن الكريم.

٣- الإجابة لهم من قبل أهل الحقّ والدفاع عن أفكارهم الرذيلة بالأدلة النقلية القاطعة والعقلية الساطعة.

٤-إثبات عدم وجود أخطاء نحويّة في القرآن الكريم.

٥-الوقوف على الدراسات الاستشراقية وأهدافها.

٦-البحث عن آراء المستشرقين وشبهاتهم وتشكيكاتهم في القرآن الكريم، وكيدهم في الدين الإسلامي.

٧-بيان الأهداف المنحطّة للمستشرقين من وراء تقديم الشبهات.

٨-بيان جهل المستشرقين بالدين وبالقواعد النحويّة.

٩-إظهار نتائج البحث وثمراته الرئيسية.

أهمية البحث

لقد أنزل الله القرآن الكريم بلسان عربيّ مبين. هو الكتاب الذي اختصّه الله نفسه بالحفظ من كلّ تحريف وتبديل. فلن يأتيه الباطل من أيّ جانب. فقد عجز الكفّار والمشركون والشعراء من تحدّي القرآن الكريم عبر القرون، حتى

اعترفوا بصحته، كما اعترفه كثير من المستشرقين وقليل منهم أمنوا وأسلموا، ولكن من الأسف أن بعض المستشرقين ينكرون صحة القرآن، وجهلوا بإعجاز القرآن في معناه ومبناه. ويدّعون أن فيه أخطاء نحوية لجهلهم بالقواعد النحوية، وفنون اللغة العربيّة وأسرارها. وقد قبل بعضُ المؤمنين والمسلمين الضعفاء وانساقوا خلف هولاء المستشرقين وصدّقوا هذه الشبهات والتشكيك في الإسلام. ومن المعلوم أنّ هناك دوافع عديدة للهجوم على القرآن الكريم والافتراء عليه، أهمها: دافع نفسيّ: هو تزييف الحقائق وتحريفها تعبيرا عن الإخفاق والعجز عن مواجهتها، ومنها: دافع معرفيّ: هو إخفاق الغرب والكنيسة في مواجهة الإسلام فكريا وعقائديّا على الرغم من هزيمة المسلمين سياسيا واقتصاديا وعسكريا. فعلى المسلمين المخلصين أن يجاهدوا ضدّ المستشرقين لردّ شبهاتهم المزعومة بتدوين الكتب وإعداد المقالات العلمية في تلك الموضوعات. فموضوعي هذا له أهمية كبرى لحفظ القرآن الكريم والإسلام والمسلمين دينا ودنيا وعقيدة وأخلاقا، ولإبطال عقائد المستشرقين وشبهاتهم وتشكيكاتهم في الدين الإسلامي.

منهج البحث

استخدم الباحث في إعداد هذه المقالة مناهج البحث العلمي من المنهج الوصفي، والمنهج المقارن وقارن فيها المسائل النحويّة حول الآية الكريمة، والمنهج الجدلي، والمنهج التحليلي لعرض الشبهات وبيان الحجج التي قامت عليها، والمنهج النقدي انتقد فيها آراء المستشرقين، كما انتقد فيها بعض أقوال النحاّة، وذلك لدحض شبهات المستشرقين واستجلاء الحقائق الثابتة بالأدلة العلميّة.

تعريف القرآن لغة واصطلاحا

إنّ القرآن عند المستشرقين هو كتاب المسلمين المقدّس، ويعدّه المؤمنون كلمة الحقّ من ربّهم، وأنّه كتاب أوحي إلى النبيّ محمد، وجمع في مصحف بعد مماته

ويعتقدون أيضا أنّه موجود في اللوح المحفوظ، ومن المحتمل أنّ كلمة قرآن مشتقة من كلمة قرأ، وهي كلمة سريانية في أصلها، وهو قريانة، أي: القراءة حيث كانت تستعمل في الكنيسة السريانية.[١]

مفهوم القرآن عند المفكّرين المسلمين: قال الشافعي-رحمه الله-: إنّ كلمة القرآن المعرّف ليس مشتقا ولا مهموزا، بل ارتجل ووضع على الكلام المنزل على النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- [٢] فالقرآن عنده اسم علم على كتاب الله تعالى- مثل التوراة والإنجيل. وقال الزجّاج النحويّ أيضاً: إنّ ترك الهمزة في القرآن ليس أصلا، وإنّما هو للتخفيف، نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها للتخفيف.[٣] ويعرّفه الفراء النحوي: إنّه مشتق من لفظ القراين الذي هو جمع قرينة، لأنّ آيات القرآن يشبه بعضها بعضا فكأنّ بعضها قرينة بالبعض.[٤] ويقول اللحياني: إنّه مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا، يسمّى به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر. وهذا الراي الأخير أرجح وأقوي، فالقرآن مصدر مرادف للقراءة.[٥]

القرآن في اصطلاح الشريعة الإسلامية

يقول ابن خلدون معرّفا: إنّ القرآن هو كلام الله الذي أنزل على نبيّه محمد -صلّى الله عليه وسلّم- المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة المحمدية.[٦] ويعرّف بعضُ المحقّقين بأنّ القرآن: هو الكلام المعجز الذي أنزل على محمّد النبيّ -صلعم- المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلا متواترا، المتعبّد بتلاوته.[٧]

تعريف الاستشراق والمستشرقين

الاستشراق مصدر من باب الاستفعال مشتق من لفظ شرق، يقال: أشرقت الشمس شرقا وشروقا، إذا طلعت. إنّ هذا اللفظ ليس عربيّا أصيلا، بل هو مولّد عصريّ وحديث. وجاء في معجم متن اللغة: استشرق أي: طلب علوم الشرق ولغاتها، يقال لمن يعنى بذلك المستشرقون من علماء الفرنجة.[٨]

فالاستشراق مشتق من شرق هو دراسة علماء الفرنجة لعلوم الشرق ولغاتهم. والاستشراق حركة نشأت في العصر الحديث، قامت بها جماعات من علماء الغرب. قد اختلف علماء الغرب وعلماء العرب حول مفهوم الاستشراق.

تعريف الاستشراق عند علماء الغرب:

يعرّف المستشرق الإنجليزي أرثر أربري جون (Arthur John Arberry)(١٩٠٥-١٩٦٩م) إنّ الاستشراق: علم واسع يشمل عددا من الموضوعات والتخصّصات، قد تكون بعيدة عنه، ولكنّه تتصل به بقدر ما تحقّق الغاية التي يقصدها المستشرق كعلم الآثار واللغات والفلسفة واللاهوت وغيرها.[٩]

تعريف الاستشراق عند العلماء العرب: يعرّف محمود حمدي زقزوق بأنّ الاستشراق: هو علم عالم الشرق أو علم العالم الشرقي أو هو الدراسات الغربيّة التي تتعلق بالشرق الإسلامي، في اللغات والآداب والتاريخ والعقائد والتشريعات والحضارات بصفة عامة.[١٠]

ويعرّفه أحمد حسن الزيّات بأنّ: الاستشراق يراد به في العصر الراهن دراسة العلماء الغربيين لتاريخ الشرق وأممه المتنوعة ولغاته المتعددة وآدابه وعلومه المختلفة وعاداته وتقاليده الاجتماعية ومعتقداته الدينية، وأساطيره التاريخية؛ ولكنّه في العصور الوسيطة كان يقصد بالاستشراق دراسة العبرية لأجل صلتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقتها الوثيقة بالعلم.[١١]

وللعلماء المحقّقين والمفكّرين عدة آراء في مصطلح المستشرقين، وأهمها ما يلي:

يعرّف الدكتور أحمد سمايلوفيتش: بأنّ المستشرق عالم متمكّن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه.[١٢] ويعرّفه إدوار سعيد: إنّ لفظ الاستشراق لفظ أكادمي صرف، والمستشرق هو كلّ من يدرس عن الشرق أو يكتب عنه أو

يكتب فيه.[١٣] ويعرّفه مالك بن نبيّ: إنّنا نعني بالمستشرقين الكتّاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية.[١٤]

مظاهر التوجيهات النحويّة في بعض الآيات القرآنية

إنّي قد اخترتُ- على سبيل التمثيل- آية قرآنية فقط يزعمها المستشرقون الجاهلون بأنّها مخالفة للقواعد النحويّة. وذكرتُ شبهات المستشرقين وأسئلتهم حول تلك الآية الكريمة ثم أجبتُ من أهل الحقّ عن الشبهات فيها بالأدلة النقلية والعقلية بإثبات آراء النحاة الأفذاذ الجهابذة، وبالأشعار الجاهلية وأقوال العرب. ولم أجد هذه الإجابة في كتاب خاص بل هى متناثرة ومتفرقة في الكتب النحويّة المتنوعة وكتب التفاسير المتعددة. وقد جمعتها مع المصادر والمراجع حسب مناهج البحث.

يدّعي بعضُ المتوهّمين أنّ في القرآن الكريم أخطاء في استخدام تمييز العدد تذكيرا وتأنيثا، مفردا وجمعا. ويستدلّون على ذلك بقوله -تعالى-: (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا)، (الأعراف:١٦٠) حيث استخدم الله-عزّ وجلّ- فيها العدد (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) مؤنّثا، والحال أنّ المعدود (أَسْبَاطًا) جمع مذكّر. وهذا مخالف للقواعد النحويّة، والأصول العربيّة، ولحن في القرآن العظيم. إنّ القاعدة النحويّة تقتضي في عدد أثني عشر أن يستخدم العدد مفردا مذكّرا، -إذا كان المعدودُ مذكّرا، نحو: اثنا عشر رجلا. وأن يستخدم العدد مفردا مؤنثا، -إذا كان المعدودُ مؤنثا، نحو: اثنتا عشرة امرأة. والصواب في زعمهم أن يقال: "وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَى عَشَرَ سبطاً." ليطابق القاعدة النحويّة في تمييز العدد، فما الجواب؟

الجواب:

من المعلوم أنّ الأسباط جمع سبط، يقال: هذا سبط، وهذه سبط. وهولاء سبط، معناها: قبيلة وفرقة. والمراد بالأسباط ههنا: أولاد الولد. وكان قوم موسى

اثنتى عشرة قبيلة، من اثنى عشر ابنًا من أبناء سيّدنا يعقوب -عليه السلام-. فكان بنو يعقوب اثنتى عشرة قبيلة، نشر الله منهم اثنَى عشر سبطًا.[١٥] قال أبو جعفر الطبري: يقول اللهُ -تعالى-: "فرقناهم" يعني: فرّق اللهُ قوم موسى من بني إسرائيل، فجعلهم قبائل متعددة، اثنتي عشرة قبيلة.[١٦] إنّما قال -تعالى-: (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا)، ولم يقل: اثنى عشر سبطا. مع أنّ السبط مذكّر، لا مؤنث. لوجوه تالية: اختلف أهلُ العربيّة في وجه استخدام تأنيث "اثنتي عشرة"، وسبب استخدام "الأسباط" جمعا مذكّرا. وللنحّاة الكرام والمفسّرين العظام آراء متنوّعة، وتوجيهات متعدّدة، كما يلي:

(١) يقول أكثرُ النحويّين المحقّقين: إنّ كلمة (أَسْبَاطًا)، ليست تمييزًا لكلمة (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ)، إنّما تمييزُ (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) محذوف مقدّر لفهم المعنى، وهو فرقة أو قبيلة. فتقدير العبارة: وَقَطَّعْنَاهُمُ اثنتى عشرة فرقةً، أو اثنتى عشرة قبيلةً. فوضع (أسباطا) موضع قبيلة، أو فرقة. وكلمة "(أَسْبَاطًا)" بدل من (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ)، و(أمماً) نعت لأسباط، أو بدل بعد بدل، أو بدل من (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ)، أي: وقطّعناهم أممًا، لأنّ كلّ أسباط كانت أمةً عظيمة العدد.[١٧] فلا إشكال، ولا تعارض، ولا مخالفة الأصول العربيّة. وإنّما قلتُ: إنّ التّمييز محذوف، ولم أجعل لفظ (أسباطا) تمييزا، لوجهين، أحدهما: أنّ المعدودَ (أسباطا) جمعُ سبط، وهو مذكّر؛ فينبغي أن يكون العددُ مذكّرا، فيكون تركيب العدد: اثنى عشر سبطا. والثاني: أنّ تمييز العدد المركّب يكون مفردا منصوبا، وهذا (أسباطا) جمع. فإن قيل: اثنى عشر سبطا، لم يوافق حقيقة الأمر؛ لأنّ الله أراد منه: تقَطيعْهُمْ اثنتى عشرة قبيلة.

(٢) ويقول النحوي البلاغي أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير: إنّ كلمة (أمما)، بدل من كلمة (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ)،[١٨] بمعنى: تقطيعْهم الله أُمَمًا، لأنّ الأسباط كلّها كانت أمة عظيمة العدد، أو (أمما) نعتٌ لكلمة "أسباطا" أو

(أممًا) بدل من (أسباطا). ويقول ناصر الدين البيضاويّ مفسّرا قوله-تعالى-: (وَقَطَّعْناهُمُ)، أي: صيرناهم قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض، و(اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) مفعول ثان لكلمة "(قَطَّعْنا)". فإنّه متضمن معنى تصيير، وتأنيثه لأجل حمله على معنى الأمة أو القطعة. وكلمة (أَسْباطاً) بدل منه، ولأجل ذلك جُمعت، أو تمييز له على أنّ كلّ واحدة من اثنتى عشرة أسباط أمم، فمعناها: اثنتى عشرة قبيلة. فكلمة (أُمَمًا) بدلٌ بعد بدلٍ، أو نعت لكلمة أسباط، أو بدلٌ من كلمة أسباط. ونظيره: قول أبي النجم في أرجوزته:[١٩]

تَبَقَّلَتْ في أوّلِ التَّبَقُّلِ + بَينَ رِماحَيْ مالِكٍ ونَهْشَل

الشاهد فيه قوله: "بين رماحي مالك ونهشل" -مالك ونهشل: قبيلتان عربيّتان كانتا متنازعتين- حيث ثنّى اسم الجمع "رماح". يقول شارح البيت: إنّ القياس يأبى تثنيةَ جمع، ولأنّ الهدف من الجمع هو الدلالةُ على العدد الكثير، والحال أنّ التثنية تدلّ على القلّة. فهما معنيان متضادان. فيمتنع اجتماعُهما في اسم واحد.

(٣) ويقول الزمخشري، وبعض من النحّاة: في قوله المذكور إنّ كلمة (قَطَّعْنَاهُمُ) فعل متعد إلى مفعولين بمعنى صيّرناهم، فضمير (هُمُ) في قوله: (قَطَّعْنَاهُمُ) مفعول أوّل، وقوله: (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) مفعول ثان لفعل (قَطَّعْنَاهُمُ)، وقوله: (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) مميّز، وتمييز (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ)، محذوف لفهم المعنى، وهو "فرقة"، والتقدير: (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فرقةً). وكلمة: (أَسْبَاطًا) بدل من ذلك التمييز، ولذلك جُمعت كلمة الأسباط، لأنّ كلّ قبيلة أسباط، لا سبط. لأنّ كلّ سبط كانت أمةً عظيمةً العدد، وكلُّ واحدةٍ من القبائل كانت تسود مخالفة ما تسود قبيلة أخرى، قلّما تتّفق. فوضع (أسباطاً) موضع قبيلة. فكأنّه قال: "وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَى عَشْرَ سبطا سبطا." و"أُمَماً" بدل بعد بدل من (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ.) أو أنّ (أسباطاً)

تمييز العدد لكلمة (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ)؛[٢٠] واعترض عليه، بأنّه لو كان (أسباطا) تمييزا لكلمة (اثنتى عشرة)، لكان مفردا مؤنثا. كما جاء في قول عنترة الشاعر الجاهلي:[٢١]

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً + سُودًا كَحَافَّتِهِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ

قد استخدم فيه الشاعرُ العددَ (اثْنَتانِ وأَرْبعُونَ) مؤنثا، لأنّ المعدود (حَلُوبَةً)، مؤنث، وهذا موافق القواعد النحويّة. واعترض معترض على الزمخشري بأنّه قوله:"قَطَّعْناهُمُ" فعل متعد إلى مفعول واحد، فعلى هذا يكون كلمة (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) حالا من الضمير الغائب المنصوب المتّصل، أي (هُمُ) في قوله: (قَطَّعْنَاهُمُ)، وهو ضمير. فأجاب الزمخشري عن السؤال الوارد بقوله لأنّ كلّ قبيلة أسباط، لا سبط. فكأنّه قال: وقطّعناهم اثنى عشر سبطا سبطا. و(أمما) بدل بعد بدل على الأول، أو (أمما) بدل من (أسباطاً) على الثاني. أجاب الزمخشري عن السؤال الثاني أنّ كلمة (قَطَّعْنَاهُمُ) فعل متعد إلى مفعولين بمعنى صيّرناهم، فضمير (هُمُ) في قوله: (قَطَّعْنَاهُمُ) مفعول أوّل، وقوله: (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) مفعول ثان لفعل (قَطَّعْنَاهُمُ).[٢٢]

(٤) ويقول ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، وزين الدين خالد بن عبد الله الجرجاويّ الأزهري المصري المعروف بالوقاد: "أسباطا" بدل، وكلمة (اثنتى عشرة) مبدّل منه، [٢٣] و(أمَماً) نعت لكلمة "أسباطا".[٢٤] يقول أَبُو الْبَقَاءِ: قوله: "أُمَمًا" نعت لكلمة "أَسْبَاطًا"[٢٥] والأسباط: الفرق. وليس لفظُ "أسباطا" تمييزا؛ لأنّ تمييز العدد يكون مفردا منصوبا، وحينئذ يكون التقدير: (اثنتى عشرة سبطا)، وهذا غلط على ضوء القواعد النحويّة، بل التمييز محذوف، هو فرقة أو قبيلة، فيكون التقدير: (اثنتى عشرة فرقةً أسباطًا). فلا أشكال، ولا تعارض في الآية الكريمة.[٢٦]

(٥) ويقول بعضُ النحّاة البصريّين: إنّ قوله: (اثْنَتَي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا)، قُصد بكلمة (أَسْبَاطًا) فرقة، يعني بها: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً. وإنّ الفرق هم أسباط، ولم يصيّر كلمة (أَسْبَاطًا) تمييزا، لأنّها جمع مذكّر. قد استخلّ بعضُ النحّاة البصريين هذا التأويل. [٢٧]

(٦) ويقول الفراءُ النحوي: في قوله-تعالى المذكور إنّما أنّث العدد (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ)، رعاية إلى كلمة (أُمَمًا) بعده، فرجع التأنيث إلى الأمم، لأنّه مؤنث، لا إلى كلمة (أَسْبَاطًا)، لأنّه مذكّر. ولولا كلمة (أُمَمًا) بعده، لقيل: اثْنَيْ عَشْرَ أَسْبَاطًا" لأنّ السبط مذكّر. [٢٨]

(٧) ويقول نفر من النحّاة: أنّث العدد في قوله تعالى المذكور رعاية إلى معنى كلمة (أَسْبَاطًا) -وإن كان اللفظ مذكّرا- لأنّه أراد بالأسباط القبائل والفرق. وهي مؤنث. فقوله المذكور، بمعنى: وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قبيلةً أو فرقة. وهذا شائع في أشعار العرب. قال الشاعر: [٢٩]

فَإِنَّ كِلَابَا هذِه عَشرُ أبطُن + وَأنتَ بَرِيء مِن قَبَائِلِهَا العشر

استخدم الشاعرُ لفظ "عَشرُ" العدد مذكّرا، رعاية إلى لفظ أبطُنٍ، لأنّ لفظ "بطُنٍ وإن كان جمعًا مذكّرا لفظا، ولكنّه مؤنث معنىً، لأنّ الشاعر أراد بلفظ أبطُنٍ: القبيلة والفصيلة، فمعنى "عَشرُ أبطُن" عشر قبائل، فلا إشكال في البيت بذكر لفظ "عَشر" العدد مذكّرا. [٣٠] هكذا استخدم الله كلمة "(اثْنَتَيْ عَشْرَةَ)" العدد مؤنثا، رعاية إلى معنى كلمة "أَسبَاطًا" لأنّ كلمة "أَسبَاطًا" وإن كانت جمعًا مذكّرا لفظا، ولكنّها مؤنث معنىً، لأنّ الله -عزّ وجلّ- أراد بكلمة "أَسبَاطًا" القبيلة أو الفرقة، فقوله: (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا)، بمعنى "اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قبيلةً أو فرقةً". فلا إشكال في الآية الكريمة بذكر (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) العدد مؤنثا. [٣١]

(٨) ويقول الزجّاج: إنَّ كلمة (أَسْبَاطاً) في قوله-تعالى المذكور، بدل، لا مميّز، كأنّه قال: قَطَّعْنَاهُمْ أَسْبَاطاً اثْنَتَيْ عَشْرَةَ. وأنّث العددُ (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ)، لأنّ المعدود فيه مؤنث محذوف، وهو "فرقة"، فالمعنى: "وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فرقة أسباطا أُمَمًا"، وكلمة (أَسْبَاطًا) نعت لمنعوت محذوف، وهو "فرقة". فحذف الموصوف(فرقة)، وأقيمت الصّفة (أَسْبَاطًا) مقام الموصوف.

(٩) وقال أبو عليّ الفارسيّ النحويّ والجوهريّ: إنّ كلمة: (أسباطا) ليست تمييزا، ولكنها بدل من كلمة: (اثنتى عشرة). وأمّا كلمة: (أمما) بدل من (اثنتى عشرة) بمعنى: وقطّعناهم أمما.[٣٢] ويقول بعض النحاة: لا يجوز أن يجعل لفظ (أسباطا) تمييزا، لأنّ تمييز اثنتى عشرة، ونحوه، لا يكون إلاّ مفردا.[٣٣] وههنا تمييز لكلمة (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) محذوف، حذف لفهم المعنى، فكان تقدير الآية: اثْنَتَيْ عشرةَ فرقةً، وكلمة (اسْبَاطاً) بدلٌ من ذلك التمييز.

(١٠) وأورد الإمام الطبري في تفسيره: قال بعض نحويي الكوفة: إنما قال "الاثنتي عشرة" بالتأنيث، و"السبط" مذكر، لأن الكلام ذهب إلى "الأمم"، فغُلّب التأنيث، وإن كان "السبط" ذكرًا.[٣٤]

(١١) ويقول بعضُ النحويّين: كلمة (أَسْبَاطًا) تمييز، وهو مذكّر، جاء التمييز جمعا، وحقّه أن يكون مفردا، إذ المراد: "وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قبيلة"، وكلّ قبيلة أسباط، لا سبط، فوضع كلمة "أسباطاً" مكان قبيلة. ولذا جاز كون "أسباطاً" تمييزا لكلمة (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ)، ولأنّنا نعرف أنّ المفرد المذكّر إذا جُمع صار مؤنثا حكما، لأنّ النحّاة يقولون: كلّ جمع مؤنث، فصار مثال المؤنث والجمع في هذا واحدًا. كما تقول في جمع صيقلٍ صياقل، وصياقلة، وكذلك جوارب وجواربة، إلا أن أكثر الأعجمي يختصّ بالهاء.[٣٥]

وكلمة "أُمَماً" بدل من "اثنتي عشرة قبيلة" بمعنى: وقطعناهم أمما. وخالفه جمهور النحّاة، وهذا خلاف الأساليب النحويّة المعروفة في تمييز العدد. وهذا القول ضعيف جدًا فلا يعتبر في توجيه القرآن الكريم.

(١٢) ويقول جلال الدين السيوطي: (وَقَطَّعْنَاهُمْ) فَرَّقْنَا بَنِي إِسْرَائِيل (اثْنَتَيْ عَشْرَة) حَال من الضمير المنصوب المتصل (هُمْ) في قوله: (قَطَّعْنَاهُمْ)، و(أَسْبَاطًا) بَدَل مِنْهُ أَيْ قَبَائِل (أُمَمًا) بَدَل مِمَّا قَبْله.[٣٦]

(١٣) ويقول النحوي الشهير أبو الحسن محمد بن عبد الله في كتابه "علل النحو" : تقدير الآية: وَقَطَّعْناهُمُ فِرَقًا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وقال البغويّ: في الكلام تقديم وتأخير، فتقدير العبارة: قَطَّعْنَاهُمْ أَسْبَاطًا أُمَمًا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ. والأسباط: القبائل، واحدها سبط.[٣٧] فلا يحتاج إلى تمييز، وهذه كلّها تقاديرُ متكلفة، والله أعلم بالصواب.[٣٨]

الخاتمة

أقول إنّه لا يوجد أيّ خطأ نحويّ أو لحن لغويّ في الآية المذكورة، ولا في آية أخرى من الآيات القرآنية. لأنّ الله أحكم الحاكمين، فلا بدّ لهذه التغييرات والاختلافات من حكم بالغة، وفوائد جمّة، فإن أدركنا تلك الحكم فقد فزنا بالكمال، وإن عجزنا أحلنا القصور على عقولنا، وعجْزِنا يفنون اللغة العربيّة والقواعد النحويّة، وأصولها، لا على كلام الله الحكيم العليم المتين، والله أعلم بالصواب.

نتائج البحث:

١- إنّ القرآن المجيد محفوظ من كلّ الأخطاء النحويّة.

٢- إنّه لا يكون تابعا للقواعد النحوية بل هذه القواعد تتبعه، وتتّخذه مصدرا أصليّا للاستشهاد.

٢- لقد أنزل الله -تعالى- القرآن الكريم على رسول الله محمّد- صلى الله عليه وسلّم- بلغة عربية مبينة على ألسنة العرب الفصحاء والبلغاء.

٣- في القرآن الكريم أساليب أعلى من أساليب العرب المتداولة.

٤- نزل القرآن الكريم من الله ربّ العالمين لا ريب فيه.

٥- ما يتوهّمه بعضُ المستشرقين من وجود الأخطاء النحويّة في القرآن الكريم يعود ذلك في الحقيقة إلى جهلهم بالقواعد النحويّة وألسنة العرب المتنوعة، والقراءات المتعددة لبعض الآيات القرآنية.

٦- إنّ القرآن الكريم قد راعى الألسنة المتعدّدة للعرب، لا يوجد فيه تعارض في المعاني، ولا في الألفاظ، بل هو كتاب محكم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٧- قد تحدّى الله به فصحاء العرب، فعجزوا على أن يأتوا بسورة من مثله. لو كان به أخطاء-كما يزعم الزاعمون- لاتّخذوه غرضا لبطلان الدعوة الإسلامية.

٨- دعاوى المستشرقين بوجود أخطاء نحوية في القرآن الكريم دعاوي باطلة.

٩- ولو عرف المستشرقون قواعد نحوية صحيحة ما وقعوا في هذا الوهم ولأيقنوا أنّ هذا الكتاب محكم لا تعارض فيه.

١٠- إنّ القرآن الكريم لمعجزة باهرة عبر القرون. فهو معجز في معناه ومبناه، هذا الذي جهله المستشرقون.

المصادر والمراجع:

[١] . عبّاس، د. فضل حسن، (١٩٨٩م)، *قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية*، ط٢، الأردن: دار البشير، ص ٢٣

[٢] . الصالح، الدكتور صبحي، (٢٠٠٢)، *مباحث في علوم القرآن*، ط٢٥، بيروت: دار العلم للملايين، ص١٨

[٣] . الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد اللّه، (١٤٠٠هـ)، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، لبنان: دار الفكر، ج١، ص ٢٧٦

[٤] . المصدر نفسه، ج١، ص ٢٧٧

[٥] . الصالح، الدكتور صبحي، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، *مباحث في علوم القرآن*، ط٨، الرياض: مكتبة المعارف، ص ١٨

[٦] . ابن خلدون، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، *المقدمة*، المحقّق: أحمد جاد، ط١، القاهرة: دار الغدّ، ج٣، ص ١٠٢٨

[٧] . محمد عبد العظيم الزرقاني، (١٩٥٣)، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ط٣، القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي وشركائه، ج١، ص ١٨

[٨] . أحمد رضا، (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩)، *معجم متن اللغة*، ط١، بيروت: دار مكتبة الحياة، ج٣، ص ٧٨

[٩] . أوثر أربرى جون، (١٩٤٦م)، *المستشرقون البريطانيون*، ترجمة محمد دسوقي النويهي، د.ط، لندن: مطبعة وليم كوليتر، ص ٥-٦

[١٠] . زقزوق، الدكتور محمود حمدي، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، الاستشراق والخلفية الفكريّة للصراع الحضاري، ط٢، القاهرة: دار المنار، ص ١٨

[١١] . الزيّات، أحمد حسن، دون تاريخ، *تاريخ الأدب العربي*، ط٢٤، ص٥١٢

[١٢] . أحمد سمايلوفيتش، (١٩٩٨م)، *فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب الغربي*، د.ط، بيروت: دار الفكر العربي، ص ٢٢

[١٣] . إدوارد سعيد، *الاستشراق، المعرفة- السلطة-الإنشاء*، ص ٩٨

[١٤] . مالك بن نبي، (١٩٧٠م)، *إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث*، ط١، القاهرة: مكتبة عمار، ص ٧

[١٥] . إنّ القرآء قد اختلفوا في قراءة "عَشْرَةَ" فَقَرَأَ ابْنُ وثَّابٍ والأعمش وطلحة بن سليمان "عَشِرَةَ" بكسر الشِّينِ، وهي إحدى لغات تميم. وعنهم بفتح الشين أيضا، وقرأ أبو

حَيْوَةَ، وطلحة بن مصرّف بكسر الشين، وهى لغة تميم، وهناك لهجات كثيرة نسبت إلى بعض القبائل، والجمهور بإسكان الشين، وهى لغة الحجازيّين. (الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، (١٤٢٠هـ)، *البحر المحيط في التفسير*، المحقق: جميل الصدقي، د. ط، بيروت: دار الفكر، ج٥، ص١٩٨؛ شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي* (العصر الجاهلي)، د. ط، د. ت، مصر: دار المعارف، ج١، ص ١٢٦)

[١٦] . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، *تفسير الطبري*، المحقق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١٣، ص ١٧٤

[١٧]. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، *البحر المحيط في التفسير*، المصدر السابق، ج٥، ص ١٩٩

[١٨] . مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، *البديع في علم العربية*، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٠ هـ، ج٢، ص ٢٨٩

[١٩]. د. إميل بديع يعقوب، (١٩٩٦م)، *المعجم المفصل في شواهد العربية*، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ج١١، ص٤٣٠

[٢٠]. أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، *المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية*، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، ط١، جامعة أم القرى: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ج٦، ص ٢٧٤؛ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، (١٤٢٦هـ)، *العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير*، المحقق: خالد بن عثمان السبت، ط٢، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ج٤، ص ٢٤٨؛ الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد، (١٤٢٠هـ)، *مفاتيح الغيب*،ط٣ ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ١٥، ص٣٨٨؛ طنطاوي، محمد سيد، (يونيو ١٩٩٧)، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، ط١، القاهرة: دار نهضة مصر، ج٥، ص ٣٩٨

[٢١]. عليّ الجندي، (١٤١٢هـ/١٩٩١)، *في تاريخ الأدب الجاهلي*، الباب: معلقة عنترة العبسي، د.ط، مكة: مكتبة دار التراث، ج١، ص٣١٣

[٢٢]. الزمخشري، (١٩٨٧م)، *الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل*، د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، ج٢، ص ١٥٩؛ الرازي، *مفاتيح الغيب*، ج١٥، المصدر السابق، ص٣٨٧؛ البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ج٢، المصدر السابق، ص٣٢٦

[٢٣]. ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*، المحقّق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج٤، ص ٢٥٧؛ زين الدين، خالد بن عبد الله الجرجاويّ الأزهري المصري المعروف بالوقاد،س (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، *شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو*، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ج٢، ص ٤٦٢؛ محمد بن يوسف بن أحمد، المعروف بناظر الجيش، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) *شرح التسهيل* (المسمّى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، المحقق: د. عبد الرحمن السيّد، ود. محمد بدوي المختون، القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ج٥، ص ٢٤٠٢

[٢٤]. حَمّوش، أبو محمد مكي بن أبي طالب، (٢٠٠٨م)، *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه*، ط١، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ج١٠، ص ٢٥٩٤؛ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (١٤١٥هـ)، *إعراب القرآن وبيانه*، ط٤، سورية: دار الإرشاد للشئون الجامعية، ج٣، ص ٤٧٨؛ القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (٢٠٠٣م)، *تفسير القرطبي*، المحقق: هشام سمير البخاري، المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب، ج١٦، ص ٣٠٣؛ ابن عطية المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ هـ، ج٢، ص ٤٦٥

[٢٥]. أبو حفص عمر بن على ابن عادل، د.ت، *تفسير اللباب*، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٢٤٥٧

[٢٦]. القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج٧، المصدر السابق، ص ٣٠٣

[٢٧]. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، *تفسير الطبري*، المحقق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٥٠٢

[٢٨]. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، *معاني القرآن*، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، والأخرون، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، ج١، ص ٣٩٧؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، *تفسير الطبري*، المرجع السابق، ج١٣، ص ١٧٥؛ أبو المظفر، منصور بن محمد الحنفي، (١٩٩٧م)، *تفسير القرآن*، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، المملكة العربيّة السعودية: دار الوطن، ج٢، ص٢٢٣

[٢٩]. ابن عطية المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٥؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، *تفسير الطبري*، المرجع السابق، ج١٣، ص ١٧٥

[٣٠]. القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج٧، المصدر السابق، ص٣٠٣

[٣١]. المصدر نفسه، ص ٣٠٣

[٣٢]. الرازي، *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*، ج١٥، المصدر السابق، ص ٣٨٧

[٣٣]. ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، (١٩٨٤م)، *التحرير والتنوير*، موقع التفاسير، ج٥، ص٤٨٧

[٣٤]. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، *تفسير الطبري*، المرجع السابق، ج١٣، ص ١٧٥؛ الدسوقي، الشيخ وائل بن عليّ بن أحمد، (١٤٢٧هـ)، *كَتِابُ إِعْجَازِ الْقُرآن وَنَقْضِ مَطَاعِنِ عَبَدَةِ الصُّلْبان*، ط٢، ١٤٢٧هـ، ج١، ص٣١

[٣٥]. المبرد، *الكامل في اللغة والأدب*، ج١، ص ٥٨؛ الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، (١٩٩٨م)، ارتشاف *الضرب من لسان العرب*، المحقق: رجب عثمان محمد، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ج٢، ص٦٣٨

[٣٦]. المحلي، جلال الدين محمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، *تفسير الجلالين*، ط١، القاهرة: دار الحديث، ص ٢١٧

[٣٧]. البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، ج٢، المصدر السابق، ص٢٤١

[٣٨]. أبو الحسن محمد بن عبد الله، (١٩٩٩م)، *علل النحو*، المحقّق: محمود جاسم محمد الدرويش، ط١، المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد، الرياض، ج١، ص ٥١٨؛ أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، *تفسير البحر المحيط*، موقع التفاسير، ج٥، ص ١٩٨-٢٠٠

المؤلف المراسل

يمكن الاتصال بـ :محمد نور الإسلام على: dniacu@gmail.com